

الضغوط الاستعمارية على المغرب ومحاولات الإصلاح

تقديم إشكالي:

فرضت الدول الإمبريالية ضغوطات عسكرية ودبلوماسية على المغرب خلال القرن 19م، كما تمكنت من التوغل في الصحراء المغربية، مما حتم على السلاطين العلويين القيام بعدة إصلاحات لمواجهة لها لكنها باءت بالفشل.

✚ فما مظاهر الضغوط الاستعمارية على المغرب خلال القرن 19م؟

✚ وما مظاهر التسرب الاستعماري في الصحراء المغربية نهاية القرن 19م؟

✚ وما أهم الإصلاحات التي دشنها المغرب لمواجهة هذه الضغوط؟

✚ وما أسباب فشل الإصلاحات؟

1 - مظاهر الضغوط العسكرية على المغرب خلال القرن 19م:

يقصد بالضغوط العسكرية استخدام السلاح والقوة وشن هجمات على المغرب خلال القرن 19م من طرف فرنسا وإسبانيا، وتتجلى هذه الضغوط في:

✓ معركة إيسلي: وهي حرب غير مستمرة دارت بين الجيش الفرنسي والجيش المغربي في منطقة الجرف (قرب واد اسلي) قرب الحدود الشرقية بتاريخ 14 غشت 1844م، بسبب تقديم السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان بن هشام الدعم العسكري للأمير عبد القادر الجزائري أثناء مقاومته للاحتلال الفرنسي، وترتب عن المعركة نتائج وخيمة، تمثلت في: الكشف عن ضعف القوة العسكرية للمغرب، وفقدان هيبة الدولة، وتوقيع معاهدة الصلح يوم 10 شتنبر 1844م، ومعاهدة «للا مغنية» يوم 18 مارس 1844م، التي تركت الحدود بين المغرب والجزائر وهمية انطلاقا من «تنية الساسي» في اتجاه الجنوب، بحجة أنها صحراء من أجل استغلالها في عملية الغزو مستقبلا.

✓ حرب تطوان: استمرت لحوالي ثلاثة أشهر ما بين 1859 و1860م، بسبب إقدام «قبيلة أنجرة» على هدم بنايات شيدها الإسبان خارج حدود سبتة، ولم ينسحب الجيش الإسباني إلا بعد توقيع معاهدة صلح يوم 26 أبريل 1860م، والتي نصت على فرض غرامة مالية كبيرة قدرها 20 مليون ريال سببت أزمة مالية انعكست سلبا على الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وتوسيع إسبانيا لحدود سبتة، وتشكيل شرطة إسبانية في الموانئ المغربية لإستيفاء نصف الغرامة المالية، والسماح لإسبانيا ببناء ميناء للصيد بالسواحل الجنوبية.

II - مظاهر الضغوط الدبلوماسية على المغرب خلال القرن 19م:

1 - لجأت إنجلترا إلى توقيع اتفاقيات لفرض امتيازات اقتصادية:

عقدت بريطانيا اتفاقية الصداقة ومعاهدة تجارية سنة 1856م حصلت بموجبها على عدة امتيازات، منها:

✓ توفير الأمن والسلم لممثلي إنجلترا في المغرب (قنصوات وسفراء).

✓ حق السكن والتنقل للرعايا الإنجليز وخضوعهم لقوانين بريطانيا.

✓ توفير الأمن للرعايا (الجلالية) الإنجليز.

✓ حرية التجارة في المراسي المغربية دون أمد ومكان محددين.

✓ تعهد السلطان بإسقاط الكنطردات والممنوعات في المتاجر.

✓ حق تملك العقارات بالمغرب.

✓ تحديد قيمة الرسوم الجمركية في عشر القيمة من سعرها.

✓ فرض الحماية القنصلية (الفردية).

وقد فتحت الاتفاقية التجارية السوق المغربية أمام المنتجات الإنجليزية، فألحقت أضرارا بليغة بالصناعات الحرفية المغربية بسبب تصدير المواد الخام إلى أوروبا.

2 - عقدت فرنسا تسوية بيكلار مع المغرب للحصول على امتيازات سياسية:

لجأت فرنسا إلى عقد اتفاقية «بيكلار» سنة 1863م، ونصت على تقنين المحمين بالمغرب وتوسيع نطاق الحماية، حيث أصبحت تشمل زوجة المحمي وأبناءه ومقربيه، وتمنح الحماية للمغاربة الذين يساعدون السفراء والقنصوات والسماسة المستخدمين لدى التجار الأجانب، مما جعل المغاربة يترددون على الأوربيين لشراء عقود الحماية الفردية بهدف التملص من ضرائب المخزن، فانعكس ذلك سلبا على الوضعية المالية والسياسية للبلاد، وقد حاول السلطان مولاي الحسن التراجع عن البند الخاص بالحماية القنصلية، وطالب الدول الأوربية بعقد مؤتمر دولي (مؤتمر مدريد 1880م)، لكن قراراته خيبت آمال السلطان، إذ نص على:

✓ اختيار السفراء مترجمين وموظفين لهم دراية بالقضايا المغربية ومعفون من الضرائب.

✓ حق القنصولة ونوابهم في اختيار مترجم واحد ومخزني ومرافقين.

✓ اعتراف المغرب بحق الملكية لجميع الأجانب.

✓ فرض ضريبة الترتيب على الفلاحين مغاربة وأجانب.

✓ فرض ضريبة الأسواق على التجار والسماسة بغض النظر عن جنسيتهم.

III - مظاهر التسرب الاستعماري في الصحراء المغربية في نهاية القرن 19م:

مع نهاية القرن 19م تزايدت أطماع الدول الأوربية في الجنوب المغربي خصوصا فرنسا وإسبانيا وبريطانيا، وقد تمثلت هذه الضغوط فيما يلي:

✓ 1860م: فرض إسبانيا استغلال مناطق الجنوب للصيد البحري.

✓ 1872م: وصول «ماكينزي» إلى طرفاية لتنشيط المبادلات التجارية عن طريق شركة غرب شمال افريقيا.

✓ 1879م: انتزاع شركة غرب شمال افريقيا حق احتكار التعامل التجاري مع المناطق الصحراوية.

✓ 1900م: احتلال فرنسا لـ «توات»، و«تديكت» و«كوراة»، ثم احتلال إسبانيا لسيدى إفني.

✓ 1901م: عقد اتفاقية الجزائر لفرض احتلال المناطق التي استولت فرنسا عليها بالصحراء.

IV - أهم الإصلاحات التي قام بها المغرب لمواجهة الضغوط الاستعمارية، وأسباب فشلها:

1 - مظاهر الإصلاحات المغربية خلال 19م:

لعب السفير الإنجليزي «جون دراموند هاي» دورا أساسيا في تنفيذها، ومنها:

✓ الإصلاحات العسكرية: بناء نواة جيش وطني عصري بعد هزيمتي «إسلي» وحرب تطوان اعتمادا على خبرة الأوربيين والعثمانيين لتدريب الجيش المغربي، كما تم استيراد الأسلحة من الخارج وتصنيع بعضها محليا بفاس ومراكش، إضافة إلى إرسال البعثات الطلابية لدراسة الفنون العسكرية بأوروبا (الخارج).

✓ الإصلاحات الاقتصادية والمالية: شجع السلطان محمد بن عبد الرحمان زراعة القطن وقصب السكر وتصنيع جزء منهما محليا، واقتناء الآلات الفلاحية من إنجلترا، ومد الفلاحين بالبدور، كما اهتم بصناعة الورق واستغلال مناجم الفحم، كما قام بسك عملة نقدية جديد من الفضة والنحاس دون الذهب لمعادلة سعرها بسعر الريال الإسباني مع المثقال المغربي، كما تم فرض «ضريبة الموكوس»، وفي عهد الحسن الأول قام المخزن بفرض «ضريبة الترتيب».

✓ الإصلاحات الإدارية والتعليمية: في عهد المولى عبد الرحمان تم إصلاح شؤون المراسي بهدف الرفع من المداخيل الجمركية، ومحاربة الفساد والتهريب، كما تم إصلاح الإدارة المحلية والإدارة المركزية وإنشاء مجموعة من الوزارات، كما اهتم العلويون خاصة المولى الحسن الأول بإصلاح التعليم، وذلك من خلال إنشاء المدارس وتطوير المناهج وتنويع المواد المدرسية، إضافة إلى إرسال بعثات طلابية للدراسة إلى أوروبا من أجل تلقي العلوم العربية، وتسلم مناصب عليا لتسيير شؤون البلاد.

2 - آت هذه الإصلاحات إلى الفشل بفعل نوعين من العوامل:

✓ عوامل خارجية: تتمثل في عرقلة الأوربيين لهذه الإصلاحات، وتزويد المخزن بسلع فاسدة

✓ عوامل داخلية: من أبرزها تزايد عدد المحميين، ومعارضة الإصلاح من طرف فئات عريضة من المجتمع كزعماء القبائل والزوايا والفقهاء والتجار والأعيان (الذين رفضوا تجنيد أبنائهم)، وعناصر الجيش التقليدي (جيش البخاري وقبائل الكيش)، بالإضافة إلى حدوث بعض الكوارث الطبيعية.

خاتمة:

نستنتج أن المغرب قام بعدة محاولات إصلاحية لمواجهة الضغوط الاستعمارية الأوربية، لكن الظروف الداخلية والخارجية أجهضت هذه الإصلاحات. فيا ترى ما مصير المغرب بعد فشل جهوده من أجل الحفاظ على الاستقلال؟

مصطلحات ومفاهيم

- الضغوط الاستعمارية: هي مجموع الضغوط العسكرية والدبلوماسية التي فرضت على المغرب خلال القرن 19م من طرف مختلف الدول الأوروبية من أجل التمهيد لعملية غزوه واحتلاله.
- مولاي عبد الرحمان بن هشام: سلطان علوي حكم المغرب ما بين 1822-1859م، عرفت فترة حكمه عدة ضغوطات مثل معركة ايسلي ومعاهدة لا مغنية ...
- مولاي عبد الحسن بن محمد: سلطان علوي حكم المغرب ما بين 1873-1894م، يعتبر من خيرة السلاطين المغاربة، دشن عدة إصلاحات لمواجهة الضغوط الاستعمارية.
- الحماية الفردية (القنصلية): الحماية التي كان بعض ممثلي الدول الأوروبية يمنحونها لبعض المغاربة المتعاملين معهم خلال القرن 19م، والتي تطورت إلى اعفاء المحميين من واجبات الضرائب، وأحيانا من متباعدة القضاء الشرعي الإسلامي.
- مؤتمر مدريد: جاء بطلب من سلطان المغرب مولاي الحسن الأول في دعوة وجهها للدول الأوروبية ذات المصالح بالمغرب، للنظر في مشكل الحماية القنصلية التي باتت تشكل خطرا على السيادة المغربية.
- ضريبة الترتيب: هي ضريبة غير فرضت على الفلاحين بالمغرب كيفما كانت جنسيتهم.
- ضريبة المكوس أو ضريبة الأسواق: وهي ضريبة يؤديها التجار على سلعهم الداخلة إلى الأسواق.
- ماكينزي: ممثل شركة شمال غرب أفريقيا، ربط علاقات تجارية مع بعض سكان الأقاليم الصحراوية منذ سنة 1876م بهدف فرض المصالح البريطانية في المنطقة.
- جون دراموند هاي: قنصل بريطانيا العام بطنجة خلال الفترة الممتدة من 1845م إلى 1886م، لعب دورا أساسيا في الإصلاحات التي شهدتها المغرب في النصف الثاني من القرن 19م.